Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية

الصراع الإسلامي الصليبي في معركة بعرين(531هـ/1137م)

د. الصديق بريك محمد يوسف
استاذ وباحث في قسم التاريخ كلية التربيه،جامعة درنه،فرع القبه،ليبيا
استاذ وباحث في قسم التاريخ، كلية التربيه،جامعة بنغازي،ليبيا
Seddqalsharfy@gmail.com

استلام البحث:06-04-2023 مراجعة البحث :09-07-2023 قبول البحث :13-07-2023

ملخص

تناول البحث أحداث معركة من معارك التاريخ الإسلامي في العصر الوسيط، ألا وهي معركة " بعرين" في شهر شوال/ يوليو (531هـ/1137م) والتي كانت بين المسلمين بقيادة" عماد الدين زنكي"(522: 541هـ/ 1128: 1146م) والصليبيين بقيادة " فولك الأنجوي" (526: 538هـ/ 1131: 1143م) ملك بيت المقدس، وتكمن أهمية تلك المعركة في أن القائد المسلم " عماد الدين زنكي" استطاع أن يعد كميناً بالقرب من حصن هو من أهم وأخطر الحصون الصليبية وهو " حصن بعرين" والذي كان تابعاً لإمارة طرابلس والتي كانت تحت سيطرة " ريموند الثاني"، استطاع " عماد الدين زنكي" أن يقتل ويأسر الكثير من الصليبيين، وأن يستولي على الكثير من الغنائم والسواد والأثاث، حتى أن وليم الصوري قدر عدد الأسرى بحوالي " 2000" أسير بما فيهم أمير طرابلس حينذاك وهو " بونز pons (507: 531هـ/ 1113: 1137م) والذي كان والداً لـ " ريموند الثاني" الذي خلفه في إمارة طرابلس؛ وعندما علم " فولك الأنجوي" ملك بيت المقدس بتلك الهزائم؛ هرع مسرعاً لنجدة الحصن من وقوعه في براثن القائد المسلم " عماد الدين زنكي"، ولم تنجح محاولات الصليبيين في الحفاظ على حصن " بعرين" إذ انتهى الأمر بتضييق الخناق على الصليبيين؛ مما ألجأهم في النهاية إلى تسليم الحصن إلى عماد الدين زنكي، ودفع فدية تُقدر بـ" 5000" دينار .

الكلمات المفتاحية: عماد الدين زنكي، الملك فولك الأنجوي، المسلمون، الصليبيون، بعرين، حلب، طرابلس، الحروب الصليبية.

Abstract:

The research dealt with the events of one of the battles of Islamic history in the Middle Ages, namely the battle of “Bareen” in the month of Shawwal / July (531 AH / 1137 AD), which was between the Muslims under the leadership of “Imad al-Din Zangi” (522: 541 AH / 1128: 1146 AD) and the Crusaders led by Fulk Al-Anjawi” (526: 538 AH / 1131: 1143 AD), the king of Jerusalem, and the importance of that battle was that the Muslim leader “Imad al-Din Zangi” was able to prepare an ambush near a fortress that is one of the most important and most dangerous of the Crusader fortresses, which is “Bareen Fort,” which was affiliated with For the Emirate of Tripoli, which was under the control of "Raymond II", "Imad al-Din Zangi" was able to kill and capture many of the Crusaders, and to seize a lot of booty, blackness and furniture, to the extent that William al-Suri estimated the number of prisoners at about "2000", including the emir of Tripoli at the time, who is "pons (507: 531 AH / 1113: 1137 AD), who was the father of “Raymond II” who succeeded him in the Emirate of Tripoli, when “Folk Al-Anjoi” the king of Jerusalem learned of these defeats, he rushed to the rescue of the fortress from falling into the clutches of the Muslim leader “Imad al-Din Zangi”, and the Crusaders’ attempts to preserve it did not succeed. On the fortress of "Ba'rain", as it ended up tightening the noose on the Crusaders, which eventually led them to hand the fortress over to Imad al-Din Zangi, and pay a ransom of "5000" dinars.

Keywords: Imad al-Din Zangi, King Faulk of Anjou, Muslims, Crusaders, Barin, Aleppo, Tripoli, Crusades.

مـــقدّمـــــة:

من أخطر خطب التاريخ تلك التي ألقاها أوربان الثاني في مجمع كليرمونت عام (489هـ/ 1095م) من أجل تأليب الغرب على المشرق العربي الإسلامي، وتحفيزهم من الأجل الإغارة عليها، فكانت الحروب الصليبية التي غيّرت كثيراً في مجارى أحداث التاريخ سواء على الصعيد الشرقي أو الصعيد الغربي، وإن كانت الحروب الصليبية قد اتخذت من الصليب شعاراً لها؛ لتضفي عليها مسحة

القدسية، وتلهب مشاعر الأوروبيين الروحية والدينية، لكنها في حقيقة الأمر لم تتوقف دوافعها عند الدوافع الدينية فقط، بل كانت لها دوافع اقتصادية وأخرى سياسية واجتماعية.

تكمن أهمية البحث الذي نحن بصدده إلى أنه يسلط الضوء على فترة من فترات عصر الحروب الصليبية والتي امتدت قرابة القرنين من الزمان، أثناء حكم قائد عظيم من القادة العسكريين المسلمين هو" عماد الدين زنكي"[1] والذي استطاع أن يبسط نفوذه على بلاد الشام، وأن يكون بمثابة حجر العثرة أمام أطماع الصليبيين التوسعية، بل يعد عماد الدين زنكي وما قام به من تصدي للصليبيين مقدمة مهمة جدا لنصر حطين بقيادة صلاح الدين عام (583هـ/ 1187م)، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث حين يتعرض لمعركة لم تنل نصيبها الوافر لمن تصدوا للكتابة عن عصر الحروب الصليبية، هي معركة حصن " بعرين" (531هـ/ 1137م) والتي كانت ضمن سلسلة صراعات بين المسلمين والصليبين، تلك المعركة التي أظهرت مدى قوة وصلابة المقاومة الإسلامية تجاه الصليبيين، ومكنتهم في نفس الوقت أن يستردوا عدداً من الحصون والمدن التي استولى عليها الصليبيون، حتى تُوّج باسترداد القدس الشريف في عهد صلاح الدين الآيوبي.

هذا وقد اعتمدنا في كتابة هذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي، الذي يعتمد على الوصف والتحليل؛ من أجل استنباط المادة اللازمة لتغطية موضوع البحث،واقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة؛ حيث تناول المبحث الأول حال المسلمين والصليبيين قبل وصول عماد الدين زنكي لحكم الموصل، وتوسعه نحو الغرب باتجاه الحاميات الصليبية.أما المبحث الثاني فقد تناول علاقة عماد الدين زنكي بالصليبيين وصداماته الأولى التي أوصلته لمعركة " بعرين"، ومن ثم سيطرته على حلب وحصاره لحمص.أما المبحث الثالث فقد تناول الباحث فيه معركة " بعرين" أو " بارين" – في بعض المصادر– وكيف تمت السيطرة عليه وفتحه، ولما فيه من نتائج لاسترداد الرها من الصليبيين.ثم الخاتمة: وقد ذكر فيها الباحث أهم ما توصل إليه من نتائج من خلال البحث.

المبحث الأول: أحوال المسلمين والفرنجة حتى حكم عماد الدين زنكي سنة(521هـ/ 1127م)

أولا: أحوال المسلمين قبل حكم عماد الدين زنكي:

لم تكن أحوال المسلمين في بلاد الشام أحوالاً جيدة من حيث الاتحاد والتآزر في مواجهة العدو، بل كانوا متفرقين متشرذمين؛ مما يوحي ويدل على الضعف؛ ونتيجة لذلك الضعف استطاع الصليبيون في خلال تسعة أشهر أقاموها في شمال سوريا بعد سيطرتهم على أنطاكية وقبل سيرهم نحو بيت المقدس من أن يغيروا على المناطق الشمالية لسوريا وأن يفرضوا نفوذهم في تلك المناطق، ومن ثَمّ أصبح الطريق أمامهم ممهداً للسير نحو بيت المقدس، وأن يأسسوا مملكتهم المنشودة، وكانت القدس في تلك الفترة تحت سلطان الفاطميين[2].

ثانياً: النفوذ الصليبي في بلاد الشام وإقامة الحصون والقلاع:

كان اهتمام الصليبيين بالسيطرة على الساحل الشامي، وبسط النفوذ شبه الكامل به؛ من أجل ضمان وصول الإمدادات والتموين من الخارج، ومن أجل إحكام السيطرة قام الصليبيون بإنشاء سلسلة القلاع والحصون الضخمة ومنها حصن عكا والكرك وبعرين– موضوع بحثنا هذا– وغيرها من القلاع الكثيرة التي جمعت في خصائص عمارتها العمارة الحربية الغربية والشرقية[3]، والناظر إلى مناطق النفوذ الاستراتيجي الإسلامي تجاه تحصينات الصليبيين، يجد أنها كانت متسعة باتساع رقعتها شرقاً وغرباً؛ وفي الشمال تقع حماه وحلب، وفي الشرق الموصل، وفي الغرب مصر وما ورائها من بلاد المغرب العربي؛ ومن هذا النفوذ الاستراتيجي لم يكن للمسلمين أن يقعدوا مكتوفي الأيدي؛ بل قاوموا الصليبيين منذ دخولهم إلى أراضيهم، ولكن اللافت للنظر أنه في البداية كانت نتيجة تلك المواجهات العسكرية تكون كفتها في صالح الصليبيين على حساب المسلمين؛ فسيطر الصليبيون على بعض المدن الإسلامية سيطرة كاملة، وفرضوا الإتاوات، وهذا ما ذكر أحداثه ابن الأثير(ت/ 630هـ/ 1233م) حينما تحدّث عن الحال الذي كان يسود البلاد آنذاك؛ فقد

[1]عماد الدين زنكي: ابن قسيم الدين آق سنقر أتابك الموصل، ولقد تولى عماد الدين زنكي أتابكية الموصل بعد وفاة والده، واتخذها قاعدة للتوسع وتوحيد الجبهة الإسلامية في الفترة من (522-541هـ/ 1128-1146م)، وقد كان شجاعاً، شهماً، غيوراً على دينه، وقد ختم الله حياته بالشهادة في سبيله(العماد الأصبهاني، المصدر السابق، ص187، 189).

[2]طقوش، محمد سهيل، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام(521- 630هـ/ 1127-1233م)، دار النفائس- بيروت – لبنان، ط2، 2010م، ص 98: 108.

[3]فولفانغ موزّر- فينر، القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة/ محمد وليد الجلاد، دار الفكر- دمشق، ط2، 1984م، ص47 وما بعدها.

كان المسلمون قد وصلوا إلى ضعف ووهن كبيرين[4]؛ مما سهل على الصليبيين مهمتهم في الإستيلاء عل أراضي المشرق العربي الإسلامي؛ فاتسع سلطان الصليبيين في البلاد، وكثر جندهم، وعظمت هيبتهم، واشتد بطشهم، وأذاقوا المسلمين أصناف العذاب، وتضاعف شرهم، بتضاعف البلاد التي استولوا عليها والتي امتدت من ناحية ماردين[5] إلى عريش مصر، لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب، وحمص، وحماه، ودمشق، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر إلى آمد[6]، ومن ديار الجزيرة إلى نصيبين[7] ورأس العين[8]، وأما في الرقة وحران[9]، فقد كان أهلها في ذل وهوان، ثم زاد الأمر إلى أن جعلوا على كل بلد جاورتهم إتاوة، يأخذونهم منهم ليكفوا أيديهم عنهم، حتى استعرضوا الرقيق ممن أخذ من الروم والأرمن وسائر بلاد النصرانية، وخيروهم بين المقام عند أربابهم أو العودة إلى أوطانهم، فمن أختار المقام معهم تركوه، ومن طلب العودة إلى أهله أعادوه، وغيرها من الأعمال الكثيرة التي بطشوا بها في بلاد المسلمين وضل حالهم حتى مجيء عماد الدين زنكي وتوليه الموصل والتي كانت هذه الولاية بداية لعهد وحروب جديدة ضد بطش الصليبيين[10].

ثالثاً: تولي عماد الدين زنكي حكم الموصل(521هـ/ 1127م):

وصل عماد الدين زنكي إلى حكم الموصل سنةبعد وفاة واليها " عز الدين بن مسعود البرسقي"(ت: 547هـ/ 1152م)[11] بعدما ولاه عليها السطان محمد السلجوقي(ت: 555هـ/ 1160م)[12] واقتنع بأنه الرجل الكفء الذي يستطيع أن يملأ الفراغ الكبير الذي تركه حكام الموصل، وعند تولي عماد الدين زنكي زمام الحكم سنة (521هـ/ 1127م) أدرك قوة الصليبيين وسيطرتهم على أراضي إسلامية، في حين أنه كان مدركاً الضعف الذي حل بالمسلمين من تفرق كلمتهم وتشتت جيشهم، فكان يتمتع بعقلية عسكرية سياسية فرفض في بداية الأمر مقاتلتهم بسبب الضعف والتفرقة، وأخذ العمل على توحيد الجبهة الإسلامية في الشام والجزيرة العربية، وذلك من أجل بث روح الطمأنينة في دولته[13].

لم يمارس عماد الدين زنكي أي عمل عسكري ضد الصليبيين في بداية حكمه على الموصل وكانت فكرته هي توطيد أقدامه وتثبيتها وتوحيد جيشه وتجميع كلمتهم قبل المضي في أي نشاط عسكري في الصليبيين، وأخذ يعزز إمكانياته الاقتصادية والعسكرية وتوحيد الإمارات الصغيرة حوله لتأمين تحركاته في الشام والجزيرة العربية حتى يتمكن من التصدي لأي هجمة يتعرض لها من قبلهم.[14]

رابعا: جهود عماد الدين زنكي لضم حمص وحماة:

عقب وفاة عز الدين مسعود البرسقي حدثت فوضى عارمة في حلب، فقد أصبحت ميداناً للنزاع على الحكم بين سليمان بن عبد الجبار الأرتقي، وإبراهيم بن رضوان السلجوقي، وفي هذا الوقت من الفوضى والنزاع أدرك كل من جوسلين الثاني أمير الرها وبوهيموند الثاني أمير أنطاكية أن هذه فرصة سانحة لهم للاستفادة من الخلاف الذي وقع بينهم ووضع سيطرتهم على حلب، لكن سرعان ما تدارك عماد الدين زنكي ووصل إلى حلب وفرض سيطرته عليها وضمها إلى حكمه، وأفسد على كل الطامعين أفكارهم، وكان عماد الدين زنكي معه تقليداً وتوقيعاً من السلطان لحكم حلب، فبهذا التفويض والصفة الشرعية ضم حلب بسهولة إليه وطرد الأطماع الصليبية بحلب، فكان ذلك سنة (522هـ/ 1128م)[15]، وأظهر أهل حلب الفرح والسرور لوقوعهم تحت حكم عماد الدين زنكي، ولولا أن الله

---

[4]ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين" ت/ 630هـ"، الكامل في التاريخ، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، ط1، 1997م، ج8، ص415.

[5]ماردين بكسر الراء والدال، وهي قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنسير ودار نصيبين، وتم فتحها سنة 19هـ(ياقوت الحموي، أبو عبد الله " ت/ 626هـ/1228م"، معجم البلدان، دار صادر- بيروت، ط2، 1995م، ج5، ص39.

[6]آمد: بكسر الميم، وهي لفظة رومية، هي أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها(الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص56).

[7]نصيبين: بفتح النون وكسر الصاد، وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة العربية على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، وفيها وفي قراها أربعون ألف بستان(الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص288)

[8]رأس العين: هي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيس(الحموي، المصدر نفسه، ج3، ص13).

[9]حران: بتشديد الراء، وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، وهي على طريق الموصل والشام والروم، وهي أول مدينة بنيت بعد الطوفان(الحموي، المصدر نفسه، ج2، ص235).

[10]ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين" ت/ 630هـ"، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق/ عبد القادر أحمد، دار الكتب الحديثة- بغداد، ط1، د.ت، ص32، 33.

[11]وهو السلطان الكبير، غياث الدين، أبو الفتح مسعود ابن السلطان محمد ابن السلطان ملكشاه السلجوقي، نشأ بالموصل مع أتابك مودود، ورباه، ثم مع آقسنقر البرسقي، ثم مع خوش بك صاحب الموصل، فلما مات والده، حسن له خوش بك الخروج على أخيه محمود، فالتقيا، فانكسر مسعود، ثم تنقلت به الأحوال، واستقل بالسلطنة في سنة 528، وقدم بغداد، كان عادلا لينا، كبير النفس، فرق مملكته على أصحابه، وما ناواه أحد إلا وظفر به، وقتل خلقا من كبار الأمراء والخليفتين الراشد والمسترشد(الذهبي، شمس الدين" ت/ 748م، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت، ج39، ص369)

[12]محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه. سلطان سلجوقي. كان في همذان. وحاصر بغداد، فامتنعت عليه. ورحل عنها فمرض بالسل وطال به إلى أن توفي بباب همذان. قال أبو الفداء: كان كريما عاقلا(الزركلي،خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ج7، ص86).

[13]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص6.

[14] ولقد وقع هدنة ومعاهدة مع جوسلين الثاني سنة (521هـ/ 1127م) وكان جوسلين الثاني أميراً للرها وكانت مدة هذه الهدنة سنتين، وكان هدفه من ذلك هو التفرغ لضم حلب وغيرها من الأقاليم التي لم تكن تحت يد الصليبيين إلى حكمه واتخاذها نقطة أساسية ينطلق منها إلى بلاد الشام ليوحدها تحت حكمه(ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص7).

[15]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص11: 12.

تعالى قد منّ عليهم بولايته عليهم لكان الصليبيون قد سيطروا على الشام كلها[16]، كما أنه في سنة (523هـ/ 1129م) ضم عماد الدين زنكي حماه إلى حكمه وسيطرته[17].

بعد ضم حلب لحكم عماد الدين زنكي غادر الشام إلى بغداد لتسوية الأمور مع السلاجقة والخلافة العباسية وبقى إلى عام (524هـ/ 1130م) بعدها عاد إلى جبهة الشام وفرغ من أمر أمراء الأرتقية في ديار بكر والجزيرة، وعمل على تنظيم الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية وتوحيد جيشه، فقدم إليه من دمشق أحد الذين أذاقوا الصليبيين مرارة الحرب وهو سوار بن أيتيكن[18]، فرحب به وولاه حلب وأعمالها، وقد كانت لهذا القائد يد طويلة في حروبه مع الصليبيين إلى جانب عماد الدين زنكي[19]؛ ففي سنة (524هـ/ 1130م) بدأت أوضاع الصليبيين في بلاد الشام والجزيرة بالتدهور خاصة بعد قتل أمير أنطاكية بوهيموند الثاني في معركة خاضها مع سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، فبعد قتله تولى الحكم زوجته " أليس" وهي ابنة ملك مملكة بيت المقدس "بلدوين الأول" فعندما تسلمت الحكم استنجد الصليبيون بأبيها لإنهاء المشكلات في إمارة الرها؛ فسرعان ما بعثت رسول إلى عماد الدين زنكي تعرض عليه إعلان طاعتها له مقابل إقرارها أمير أنطاكية، لكن هذا الرسول سرعان ما لبث ووقع بين يدي " بلدوين الأول" قبل وصوله لعماد الدين زنكي وقتله، وقدم بلدوين إلى أنطاكية، وعند وصوله قامت " أليس" بإقفال الأبواب في وجه أبيها، ثم اضطرت إلى الخضوع له، بهذا انتهت هذه المشكلة وخسر عماد الدين زنكي فرصة ثمينة لا تعوض كانت ستتيح له السيطرة على كافة الإمارات الصليبية.[20]

المبحث الثاني: بدء المواجهات العسكرية بين عماد الدين زنكي والصليبيين(524هـ/ 1130م)

أولا: نجاح عماد الدين زنكي في السيطرة على حصن " الأثارب" وضم " حلب":

حينما فرغ عماد الدين زنكي من الأمور والمناكفات السياسية والخلافات بين السلاجقة والخلافة العباسية، قام بالسيطرة على بعض المدن والقلاع، وأمر جنده بالاستعداد لوقت المواجهة العسكرية، فقصد حلب وخصوصاً حصن " الأثارب" [21] ورأى بأنه حان الوقت لمجابهة الصليبيين عسكرياً، خصوصاً أن الهدنة التي وقعها مع جوسلين الثاني قد انتهت، فبدأت أنظاره مستهدفاً ذلك الحصن لشدة خطورته وضرره على المسلمين وعلى كيان حلب السياسي، و ما كان يلحق بضرر ومضايقة من قبل الصليبيين للمسلمين الفلاحين بتلك المنطقة، وكان الصليبيون يقاسمون سكان أهل حلب كل أعمالها، ويقومون بغارات مستمرة وحشية، فجمع عماد الدين زنكي جيشه وفرسانه وأحشدهم للجهاد، وصمم على العزم نحو الجهاد في ذلك الحصن؛ من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، ودحض كلمة الشيطان، وتسليط أهل الحق على أتباع الصليبيين، وقدم إلى ذلك الحصن المنيع وقام بحصاره، وعندما علم الصليبيون في الشام بذلك الحصار، حشدوا جيوشهم لمواجهة عماد الدين زنكي وجيشه، ولم يكن ينفرد برأيه في المعركة؛ فأخذ يستشير قادته وأصحابه فيما يفعل، فأجمعوا على الإنسحاب من أرض المعركة، وترك الحصن؛ لأن مواجهة الصليبيين في أرضهم مجازفة وخيمة العاقبة، إلا أنه أجابهم ما أن تركنا الأرض ورجعنا بهذا فقد نفتح علينا طمعهم بنا، فيسيروا في أثرنا، ويخربوا بلادنا ولا بد من لقائهم على أي حال، ومن ثَمَّ سار بجيشه لمكان لقائهم، وفعلاً وقع القتال بين المسلمين والصليبيين، ودارت معركة قاسية حامية الوطيس بينهم، وانتهت بانتصار المسلمين وأسر عدد كبير من الصليبيين، وبعدها اتجه عماد الدين زنكي إلى الحصن وفتحه عنوة، وقتل وأسر حاميته، ثم أمر بتخريبه، كي لا يكون عرضة مستمرة لتهديد المسلمين من قبل الصليبيين، وكان هذا أول انتصار عسكري خلده التاريخ لعماد الدين زنكي كان في مواجهة الصليبيين[22].

ثانياً: النتائج المترتبة على السيطرة على حصن الأثارب وضم حلب:

---

[16]ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص38.

[17]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص19.

[18]هو سيف الدولة سوار بن أيتكين، رئيس شحنكية حلب ونائب عماد الدين زنكي بها، ألتحق أبوه سوار الحلبي في خدمة البيت السلجوقي منذ عهد الأمير دقاق بن تتش، وقد سار سوار على نهج أبيه واكتسب خبرة حربية وسياسية من خلال خدمته للأمراء الدماشقة، ثم تحول إلى خدمة عماد الدن زنكي(الغامدي، عبد الله بن سعيد محمد، الأمير سوار بن أيتكين ودوره في الجهاد ضد الصليبيين، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، مارس، 1998م، ص411، 413،412).

[19]ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص39.

[20]الحموي،جمال الدين، محمد بن سالم"ت: 697هـ"، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق/ جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية- المطبعة الأميرية- القاهرة، د.ط، 1957م، ج1، ص83/ الصلابي، علي محمد محمد، السلطان الشهيد عماد الدين زنكي شخصيته وعصره، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع- القاهرة، ط1، 2007م، ص140.

[21]وهي قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية، بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ(ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص89).

[22]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص22، 23/ أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل" ت: 665هـ/ 1266م"، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2002م، ص157.

بعد فتح حصن " الأثارب" تقدم نحو حارم[23] الواقعة على طريق أنطاكية، وضرب عليها الحصار الشديد؛ فاضطر من بها لدفع نصف دخل أهلها، والتمسوا مهادنته، فوافق على ذلك وهادنهم، ولم يكتف عماد الدين زنكي ومن معه بما حققه من نصر في حصن الأثارب، وحارم، بل وجه جيشه إلى " عزاز"[24] و " معرة مصرين"[25] و" تل باشر".[26، 27] ويعدفتح حصن " الأثارب" بمثابة أول مواجهة عسكرية حقيقية، وقد أراد عماد الدين زنكي أن يستغل هذه الانتصارات والغارات في بث روح الخوف في قلوب الأعداء، وإظهار قوة المسلمين أمام الصليبيين، وتأكيد انتصار المسلمين في بلاد الشام، حتى أنهم أرسلوا البشائر في أرجاء البلاد الإسلامية بهذا النصر العظيم، وبهذا أصبح الصليبيون بموقع المدافعين بعد أن كانوا مهاجمين ضد المسلمين، وأدركوا عجزهم عن مواجهة عماد الدين زنكي؛ فهذه الانتصارات كانت هي بداية الطريق التي ستمهد للاستيلاء على معظم بلاد الشام الواقعة تحت سيطرة الصليبيين[28].

وقد وُصف عماد الدين زنكي، بأنه رجل وقائد شديد الدهاء، وقد كان من أكبر المتصدين للصليبيين في المشرق الإسلامي[29]، فقد كان عماد الدين زنكي بمثابة العمود الفقري الذي ارتكزت عليه المقاومة الإسلامية، كما أنه كان رجل الساعة وبطل الإسلام في تلك الحقبة في مواجهة الصليبيين. [30]

ثالثا: وفاة " بلدوين الثاني" ووقوع الشقاق بين الصليبيين وموقف عماد الدين زنكي منه:

توفي " بلدوين الثاني" ملك بيت المقدس في سنة 525هـ/ 1130م وحدث الشقاق والمنازعات بين الصليبيين آنذاك[31]، ولم يستطع عماد الدين زنكي في ذلك الوقت من أن يستغل هذه المنازعات للقيام بعمليات عسكرية ضد الصليبيين إلا في وقت متأخر؛ وذلك بسبب انشغاله بالأوضاع التي تجددت في بغداد عقب وفاة السلطان السلجوقي محمود بن محمد بسبب النزاع الذي دب بين أبناء البيت السلجوقي على منصب السلطنة، فضلاً عن تعرضه للحملة التي قام بها الخليفة العباسي المسترشد بالله[32] على الموصل سنة(526هـ/ 1131م)[33].

ورغم انشغال عماد الدين زنكي بهذه الأمور والمناكفات مع السلطة في بغداد إلا أنه لم يتوان فكره وذهنه عن محاربة الصليبيين؛ فقد أوعز إلى قائده " سوار بن اتيكين" بالقيام بمهمة مواجهة الصليبيين فقام سوار سنة (527هـ/ 1132م) بغزو الصليبيين في تل باشر وقتل منهم عدداً كبيراً، وفي تلك السنة أيضاً سار ملك مملكة المقدس آنذاك مع رجاله وفرسانه، يبغي أطراف حلب، مستغل الأمور التي حلت بعماد الدين زنكي من الخلافة العباسية وحصار الموصل[34]، فخرج إليه "سوار" الذي وضعه عماد الدين زنكي على أعمال حلب، وانضم لـ" سوار ابن اتيكين" عدد من التركمان لمواجهة الصليبيين، ووقعت معركة قنسرين، فاقتتل من المسلمين والصليبيين عدد كبير، لكن " سوار " انهزم في هذه المعركة عاد إلى حلب[35].

انهمك عماد الدين زنكي طيلة السنوات الواقعة ما بين (525– 529هـ/ 1130– 1134م) في تنظيم أموره الداخلية والعمل على إدارة شؤون إمارته وتوسيعها؛ فلم يستطع أن يوجه جل إهتمامه إلى الصليبيين على الرغم من المنازعات التي نشبت عقب وفاة الملك "بلدوين الثاني"، وفي عام (530هـ/ 1135م) فقام بمهاجمة بعض المواقع الشامية التابعة للصليبيين؛ حيث قصد صحبة قائده "سوار"

---

[23]حارم: بكسر الراء، وهي حصن حصين تجاه أنطاكية، لكنها تابعة لحلب(ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص237).

[24]عزاز: الأرض الصلبة، وهي بلدة صغيرة ولها رستاق شمالي حلب(ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص132).

[25]معرة مصرين: بفتح أوله وثانيه وتشديد الراء، أما مصرين بفتح الميم وسكون الصاد، وهي بلدة صغيرة في نواحي حلب(ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص181).

[26]تل باشر، وهي قلعة حصينة مكورة واسعة، تقع في شمال حلب، أهلها نصارى أرمن (ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج2، ص47).

[27]ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص42.

[28]اليافعي، أبو محمد عفيف الدين" ت: 768هـ"، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 1997م، ج3، ص175/ الذهبي، شمس الدين" ت: 748هـ"، العبر في خبر من غبر، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، د.ط، د.ت، ج2، ص419/ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد " ت: 808هـ"، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق/ خليل شحادة، دار الفكر-بيروت، ط2، 1988م، ج5، ص265.

[29]الصوري، المصدر السابق، ج4، ص136.

[30]عطية، علي سعود، تاريخ الحروب الصليبية، الشركة العربية المتحدة- القاهرة، ط1، 2010م، ص155.

[31]زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة/ إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ط1، 1986م، ص130.

[32]المُسْتَرْشِد بالله(485 - 529 هـ = 1092 - 1135 م)الفضل (المسترشد بالله) ابن أحمد (المستظهر بالله) ابن المقتدي عبد الله بن محمد الهاشمي العباسي، أبو منصور: من خلفاء الدولة العباسية. بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه (سنة 512 هـ وكان عالي الهمة شجاعا، فصيحا، بليغ التوقيعات، له شعر جيد. حدثت في أواخر أيامه فتنة بهمذان، قام بها أمير أمرائه السلطان مسعود بن ملكشاه السلجوقي، فجرّد المسترشد جيشا لقتاله. ودس له السلطان مسعود جمعا من رجاله، أظهروا الطاعة، حتى نشبت الحرب في موضع يقال له " ايمرج " فانقلبوا على الخليفة، وانهزم عسكره، وثبت وحده في مقرّه، فاعتقله السلطان مسعود وأخذه معه يريد دخول بغداد به فلما كانوا على باب مراغة دخل عليه جمع من الباطنية، أرسلهم السلطان سنجر السلجوقي لقتله، فقتلوه ومثلوا به، ودفن في مراغة(الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص147).

[33]ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص45: 48.

[34]واستطاع "مسعود" أن يصبح سلطانًا على السلاجقة في العراق وبلاد فارس، بعد أن قضى على منافسيه، ورفض "عماد الدين" الخضوع للسلطان الجديد، فساءت العلاقة بينهما، وفي الوقت نفسه دخل "عماد الدين" فى صراع آخر مع الخليفة العباسى، الذي خرج إليه على رأس ثلاثين ألف مقاتل، وحاصره نحو ثمانين يومًا، ولكن "عماد الدين" استطاع الصمود والمقاومة حتى عرض عليه الخليفة "المسترشد" الصلح في مطلع عام (528هـ / 1133م)؛ فوافق "عماد الدين" دون تردد(ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا" ت: 774هـ"، البداية والنهاية، تحقيق/ علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م، ج12، ص44/ ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص625).

[35]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص43.

اللاذقية التي كانت تحت سيطرة الصليبيين، ونزلوا بها وقتلوا وأسروا سبعة آلاف أسير، ومائة ألف رأس من الدواب[36]،[37]. وكانت هذه أهم الصدمات الأولية التي وقعت بين عماد الدين زنكي والصليبيين على أرض بلاد الشام، وهي تعد صدمات تمهيدية لما سيحصل بعدها م حروب ومعارك طاحنة بين الطرفين.

المبحث الثالث: معركة بعرين سنة (531هـ/ 1136م)

أولاً: أحداث ما قبل المعركة:

سنحت الفرصة لعماد الدين زنكي بعد وفاة " بلدوين الثاني" ملك مملكة المقدس، ونشوب الشقاق في المملكة والنزاع على الملك، وتفرق كلمتهم، وتشتت رأيهم، لكن عماد الدين زنكي لم يستطع استغلال هذه الفرصة بسبب خلافاته مع الخلافة العباسية وأمراء الدول الإسلامية المجاورة–كما أسلفنا– ، وأخذ ينظم أمور دولته وشؤونها، فبعد هذا الخلاف الذي دب في مملكة بيت المقدس تم تولية الملك الجديد " فولك الأنجوي"[38]، ولم يستغل عماد الدين زنكي هذا الانقسام بسبب خلافه مع الخليفة العباسي المسترشد بالله، فقد وقعت بينهم واقعة انهزم بها عند تكريت، ثم عاود هجومه على بغداد، وفشل مرة أخرى؛ فاضطر إلى الرحيل إلى الموصل، وتعقبه الخليفة العباسي، وحاصر الموصل وامتنعت عليه فرحل عنها[39]، وفي سنة (531هـ/ 1136م) وصل عماد الدين زنكي إلى قاعدة حكمه مدينة حلب قادماً من العراق وتحديداً من الموصل، وعند وصوله حلب كان يرتب للاستيلاء على حمص، وفي الجانب الآخر عند الصليبيين الذين ازداد عندهم خطر التنبه من امتداد عماد الدين زنكي، لما حققه من انتصارات عليهم في محافل كثيرة، فكان لا بد من توجيه ضربة حاسمة وله جيشه، وأصبحوا ينتظروا الفرصة السانحة لإنزال هذه الضربة، فعندما تم حصار حمص من قبل عماد الدين زنكي أدرك الصليبيون أن هذه هي الفرصة السانحة؛ فقاموا بجمع جيش غفير كبير، وتم تحشيده لمحاربة عماد الدين زنكي وفك الحصار عن حمص الوالية لهم، مستغلين مولاة حكام دمشق لهم.[40]

تم محاصرة حمص من قبل عماد الدين زنكي، فاستعد الصليبيون لنجدة أهل حمص والزحف لهم لتحريرهم من قبل الزنكيين، فلم علم عماد الدين زنكي بذلك الأمر واقترب جيش مملكة بيت المقدس منه، ترك حصار حمص وانطلق بجيشه لملاقاة الصليبيين في بعرين، كي لا يوقع بين مقاتلة الصليبيين والحمصيين من جهة أخرى، وحصن بعرين قوي للصليبيين، فقد التقى الجمعان هناك، وكان جيش الصليبيين بقيادة فولك الأنجوي الذي جاء لنجدة حمص.[41]

ثانياً: أحداث المعركة:

تلاقي الفريقان في معركة كانت حامية الوطيس، بعد أن استدرجهم عماد الدين زنكي بعيداً عن حمص، حتى جاءه الصليبيون بقيادة "فولك الأنجوي" ملك مملكة بيت المقدس، و " ريموند" أمير طرابلس، حتى اشتدت المعركة بينهم، وقتل وأسر عدد كبير من جند الصليبيين وقادته، وكان ريموند منهم، أما فولك الأنجوي ملك بيت المقدس فر إلى حصن بعرين واحتمى به[42]، وقد حملت هذه المعركة الصليبيين حملة اختلط فيها المرؤوس والرئيس، واشتد وارتفع اللزام، وعظم الزحام، وصبر الفريقان صبراً لم يسمع بمثله في سالف الدهور[43]، ولم يدم الأمر طويلاً حتى تسرب الضعف والوهن إلى قلوب الصليبيين، وأصبح الصليبيون يهرعون ويهربون من سيوف ونبال المسلمين إلى حصن بارين أو بعرين؛ فالتجئوا إلى ذلك الحصن لعله ينجيهم من قسوة المسلمين وقتالهم، فدخلوا الحصن واحتموا به، وضل عماد الدين زنكي يطاردهم حتى حصن بعرين الذي قام عليه الحصار، وحاول اقتحامه، وكان هذا الحصن من أمنع الحصون الصليبية وأحصنها، فقد وصفه ابن الأثير في الباهر بأنه حصنٌ محلقٌ بالهواء مقاربٌ هامة الجوزاء، فقد فاق الجبال الراسيات وجازها سموا، وقد تشمخ بأنفه عن أن يرام، وناء بجانبه عن أي يُضام، فلا ترمقه الأبصار إلا عادت حائرة، ولا تؤمه الطيور

---

[36]وفعلوا في تلك البلاد ما لم يفعله بهم غيرهم، ولم يقدر الصليبيون على شيء يفعلونه مقابل ذلك.

[37]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص75.

[38]فولك الأنجوي : نسبة إلى مقاطعة أنجو، وهو من مواليد 1091م، حضر إلى الأراضي المقدسة بدعوة من الملك بلدوين دي بورج لأجل أن يزوجه من ابنته الملكة " ميلسند" وبعد وفاة بلدوين خلفه في الحكم فولك وهو في سن الأربعين(الصوري، الحروب الصليبية، ج3، ص50- 51).

[39]ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص49/ عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو- القاهرة، ط2، 1971م، ،ج1، ص452، 453.

[40]ابو شامة، المصدر السابق، ص166.

[41]ابن القلانسي، المصدر السابق، ص407.

[42]عطية، المرجع السابق، ص167.

[43]ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص60.

إلا أضحت أجنحتها مهيضة كسيرة، ومن به من الملوك الصليبيين وفرسانهم، وكهولهم وشبابهم، واثقين بحضانته متيقنين أن الحوادث لا تنالهم وهم به متحصنين، وأن الأيام لا تنفذ سهامها فيهم"[44].

واستمر عماد الدين زنكي وجيشه في حصار حصن بعرين، ويمطرونه بوابل من سهامهم وبحجارة المنجنيق، حتى أدخل في قلوبهم الرعب والذعر مما يفعله بهم، ولم يجدوا التخلص منه ومن ناره إلا بالاستسلام، وطلب الأمان حقناً للدماء؛ فراسلوا عماد الدين زنكي، ولكنه أبى إلا أن يستمر في قتالهم، وأن يدخل الحصن قهراً، وفيما هو يتابع قتاله إذ بلغه أن بعض الذين نجوا من القتال قد أبحروا إلى بلاد الصليبيين يستنجدوهم، طالبين النجدة من أبناء العالم المسيحي، محتجبن بأن عماد الدين زنكي ما إن تمكن من السيطرة على حصن بعرين، سهلت له السيطرة على بقية الممتلكات الصليبية في الشام؛ لعدم وجود من يدافع عنها، وأن المسلمين لهم نية في قصد بيت المقدس، وبالفعل تم تحشيد جيش كبير من الصليبيين والبيزنطيين، وساروا للنجدة، لكن عمادد الدين زنكي كان قد عزل الحصن عن العالم الخارجي، ومنع عنه الأخبار، كما أن حصاره عليه أدى إلى تناقص الميرة والذخيرة، فكان ذلك حافزاً له على تشديد الحصار عليهم، وتضييقه على ساكنيه، وهم لا يزالون يرسلون إليه الرسل يسترحمون إيقاف القتال ويعدون بالاستسلام، ويطلبون الصلح من عماد الدين زنكي؛ فاستجاب لهم بعد ذلك، وأمرهم بتسليم الحصن و50 ألف دينار بعد ما أعطى الناس الأمان.[45]

ثالثاً: أهم نتائج المعركة:

تم فتح الحصن على يد عماد الدين زنكي، بعد أن دب اليأس في نفس " فولك الأنجوي" بعدما انقطعت أخبار العالم الصليبي في الخارج بسبب الحصار، ونقص مؤونته، الأمر الذي اضطر به أن يبعث رسول لعماد الدين زنكي يطلب منه شروطه لفك الحصار، وانتهت المفاوضات وفق ما يلي:

- تسليم الحصن للمسلمين.
- خروج الملك فولك الأنجوي آمن من الحصن.
- إطلاق سراح الأسرى البارزين، وأبرزهم أمير طرابلس.
- دفع الملك " فولك الأنجوي" إلى عماد الدين زنكي مبلغاً قدره خمسون ألف دينار.[46]

والواقع أن ما اشتهر به عماد الدين زنكي من الصبر والجلد والقوة ساعده بشكل كبير في تحقيق أهدافه، فلم تكن قلعة " بعرين" غير ذات أهمية كبيرة له، إذ إن السيطرة عليها يمنع الصليبيين من تنفيذ الغارات كما كانوا يفعلوا سابقاً، فضلاً عن موقعها الاستراتيجي الذي يجعلها تسيطر عن حماة وحمص، وكان فتحها فتحاً مهماً في معاركه المستقبلية.[47]كذلك من النتائج التي ترتبت على سيطرة عماد الدين زنكي لقلعة بعرين، هي بث روح المعنوية العالية في نفوس جيشه، فضلاً عن ازدياد قوته التي بدأت تزداد شيئاً فشيئاً، وهو الأمر الذي ترك آثاره بشكل ملحوظ على العلاقات بين الصليبيين ودمشق، ولم يتوقف عماد الدين زنكي على هذا الحد بل أخذه موقفه يتحسن خطوة بخطوة، فبعد الحصول على حصن بعرين أخذ يهدد حمص وحماه التابعتين لدمشق؛ فاستولى على حصن " المجدل" الواقع في البقاع سنة (532هـ/ 1137م) ثم حاول انتزاع حمص مرتين بالقوة وتمكن أخيراً من ضمها لدولته.[48]

وخلال الفترة الواقعة بين سنة (534هـ/ 1139م) إلى (538هـ/ 1143م) انشغل عماد الدين زنكي باستكمال مشروع الوحدة والجبهة الإسلامية وخصوصاً الاستيلاء على دمشق، لكن نائبه على حلب وقائده استطاع مقاومة الصليبيين في سنة (536هـ/ 1141م) في بلاد الشام، فقد قام بغارات على جبل الساق وكفر طاب[49]، حتى أن غاراته وصلت أنطاكية، وفي عام (537هـ/ 1142م) حاول " ريموند دي بواتييه"صاحب أنطاكية وجوسلين صاحب الرها، استغلال انشغال عماد الدين زنكي بأموره الداخلية وتوحيد الجبهة الداخلية في الشام، فقاما بهجوم على حلب، غير أن سوار قد تصدى لهذا الهجوم، وتم عقد هدنة مع جوسلين صاحب الرها، التي أتاحت لعماد

---

[44]ابن الأثير، المصدر نفسه، ص60، 61.

[45]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص86.

[46]طقوش، محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، دار النفائس- بيروت، ط1، 2011م، ص284.

[47]طقوش، المصدر السابق، ص284، 285.

[48] سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي" ت: 654هـ، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية- دمشق- سريا، ط1، 2013م، ج20، ص304 /جمال الدين الحموي، المصدر السابق، ج1، ص76/ الملك المؤيد، _ _ _ أبو الفدا عماد الدين إسماعيل"ت: 732هـ"، المختصر في أخبار البشر، الطبعة الحسينية المصرية، ط1، د.ت، ج3، ص12 /ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص263.

[49]مدينة كفر طاب أهلها أخلاط من اليمن، وبينها وبين شيزر اثنا عشر ميلا، وكذلك بينها وبين المعرة(كرد علي، محمد بن عبد الرزاق، خطط الشام، مكتبة النوري- دمشق، ط3، 1983م، ج1، ص26).

الدين زنكي الاستمرار في توحيد الجبهة الإسلامية.[50] وقد كان من أهم النتائج التي ترتبت على فتح حصن " بعرين" هو استرداد عماد الدين زنكي الرها من الصليبيين، فقد كانت أول إمارة يستردها عماد الدين زنكي للمسلمين هي إمارة الرها، بعد أن مكثت حوالي نصف قرن من الزمان تحت سيطرة الصليبيين، وكان التحالف الذي حصل بين البيزنطيين الصليبيين قد تصدع، وكشف كل فريق عن عدائه للآخر سنة (539هـ/ 1144م) فانتهز عماد الدين زنكي هذه الفرصة واستأنف جهاده ضد الصليبيين؛ فسار إلى ديار بكر وفتح منها عدة حصون واستولى على بعض حصون ماردين التي كانت بيد جوسلين أمير الرها الصليبي، وكان هدف عماد الدين زنكي هو أن يوهم الصليبيين أنه غير متفرغ لقصدهم الرها.[51]

وعندما تكاملت قوات عماد الدين زنكي سار إلى الرها، وأحاط بها من كل الجهات، وشدد عليها الحصار، حتى صور لنا ابن القلانسي أن الطيور في السماء لا تستطيع الطير من كثرة السهام المتطايرة، ولما شعر الصليبيون بالخطر المحيط بهم، أخذوا موقع الدفاع عن الرها، وقد أدرك عماد الدين زنكي أن ما بها لن يستطيعوا الوقوف أمام جيشه وحصاره، فأخذ بمراسلة من فيها من الصليبيين باذلاً لهم الأمن والأمان على نفوسهم وأموالهم مقابل تسليم الرها، ورغبة منه في عدم إراقة دماء المسلمين وتسليمها دون خرابها، ولكنهم رفضوا ذلك، لأنهم كانوا يأملون أن توصل لهم النجدات من الصليبيين في الإمارات الأخرى في أنطاكية وبيت المقدس[52].

أمر عماد الدين زنكي رجاله بتشديد الحصار على الرها، وطلب من رجاله وجيشه العارفين بأسوار وشعاب الرها وخاصة أهل حلب، بتنقيب الأسوار وتهديمها؛ فهدموا عدة مواضع عرفوا أمرها إلى أن وصلوا تحت الأسوار التي عليها الأبراج؛ فطلبوا من عماد الدين زنكي مشاهدة ما عملوه فأذن لهم بأن يحرقوه فوقعت الأبراج بمن فيها من المدافعين، ودخلت جيوش عماد الدين زنكي الرها، واستولوا عليها عنوة وقهراً، وذلك كان في سنة (539هـ/ 1144م)[53]. وبهذا الفتح العظيم سقطت أولى الإمارات الصليبية في المشرق الإسلامي على يد عماد الدين زنكي.

الخاتمة

وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج:

1. أهمية شخصية عماد الدين زنكي العسكرية، والسياسية، وإيمانه القوي بقضيته المتمثلة في الجهاد ضد الصليبيين، وتحرير أراضي المسلمين من اغتصابهم لها.
2. استخدام عماد الدين زنكي لمبدأ " الحرب خدعة" والذي ظهر حين ضمه لحمص وحماة، وكذلك ظهرت محاولات الخديعة بالصليبيين حين محاصرة حصن " الأثارب" حيث علم عماد الدين زنكي عن طريق استخبارته بتجمع قوات صليبية في الشمال تنوي أن تهاجمه لتفك حصاره للحصن، فترك عماد الدين زنكي الصار وباغت القوات بالهجوم، هجوما غير متوقع بعيداً عن الحصن، وقتل منهم الكثير، ثم عاد إلى الحصن واستولى عليه؛ لتظهر شخصية عماد الدين زنكي العسكرية الداهية، ومهارته في التمويه الذي من شأنه أن يقلل الخسائر ما أمكن.
3. أهمية معركة بعرين في تثبيت أقدام المنتصر، فلولا النصر الذي حققه عماد الدين زنكي لكانت هذه المعركة بداية لسيطرة جديدة على أراضي حلب والزحف نحو الشرق، وتحديداً بغداد، وانتهاء حلم عماد الدين زنكي بوحدة المسلمين وطرد الصليبيين، لكن النصر حليف جيش عماد الدين زنكي بعد حصار الحصن، الذي انتهى بدخول الحصن واستيلاء المسلمين عليه، ومن خلال هذا النصر المهم للمسلمين، ورجوع كلمتهم ووحدتهم، أخذ عماد الدين زنكي يتطلع لاسترداد الرها من قبضة الصليبيين، وبالفعل كانت هذه المعركة نقطة البداية لاستعادة أول الإمارات الصليبية وهي الرها، وتوجه عماد الدين زنكي إلى حصار الرها وتم استعادتها والسيطرة عليها.

[50]عاشور، المرجع السابق، ص479: 487.
[51]ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص66: 68.
[52]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص131: 133.
[53]ابن القلانسي، المصدر السابق، ص436.

4. نسنتنج كذلك أن الدولة الزنكية وقادتها وعلى رأسهم عماد الدين زنكي، كان لهم دورٌ مهمٌ جداً في بث روح الجهاد والمقاومة ضد الصليبيين، وأنهم الإرهاصات الأولى والمهمة لما حققه صلاح الدين الآيوبي بعد ذلك، ونجاحه في استرداد أهم إمارة استولى عليها الصليبيون، ألا وهي إمارة بيت المقدس.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: قائمة المصادر:

1. ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين" ت/ 630هـ"، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق/ عبد القادر أحمد، دار الكتب الحديثة- بغداد، ط1، د.ت.
2. ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين" ت/ 630هـ"، الكامل في التاريخ، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، ط1، 1997م.
3. ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد، زبدة الحلب في تاريخ حلب، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1996م.
4. ابن القلانسي، حمزة بن أسد (ت: 555هـ/ 1160م)، تاريخ دمشق، تحقيق/ سهيل زكار، دار حسان- دمشق، ط1، 1983م.
5. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد " ت: 808هـ"، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق/ خليل شحادة، دار الفكر-بيروت، ط2، 1988م.
6. ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا" ت: 774هـ"، البداية والنهاية، تحقيق/ علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م.
7. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل" ت: 665هـ/ 1266م"، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2002م.
8. الأصبهاني، عماد الدين"ت: 597هـ"، تاريخ آل سلجوق، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2004م.
9. الحموي،جمال الدين، محمد بن سالم"ت: 697هـ"، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق/ جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية- المطبعة الأميرية- القاهرة، د.ط، 1957م.
10. الذهبي، شمس الدين" ت/ 748م، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.
11. الذهبي، شمس الدين" ت: 748هـ"، العبر في خبر من غبر، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.
12. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي" ت: 654هـ، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية- دمشق- سريا، ط1، 2013م.
13. الصوري، وليم، الحروب الصليبية، الهيئة المصرية للكتاب- القاهرة، ط1، 1994م
14. كرد علي، محمد بن عبد الرزاق، خطط الشام، مكتبة النوري- دمشق، ط3، 1983م.
15. الملك المؤيد،، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل"ت: 732هـ"، المختصر في أخبار البشر، الطبعة الحسينية المصرية، ط1، د.ت.
16. اليافعي، أبو محمد عفيف الدين" ت: 768هـ"، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 1997م.
17. ياقوت الحموي، أبو عبد الله " ت/ 626هـ/1228م"، معجم البلدان، دار صادر-بيروت، ط2، 1995م.

ثانياً: قائمة المراجع:

18. زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة/ إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ط1، 1986م.
19. الزركلي،خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

20. الصلابي، علي محمد محمد، السلطان الشهيد عماد الدين زنكي شخصيته وعصره، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع– القاهرة، ط1، 2007م.
21. طقوش، محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، دار النفائس– بيروت، ط1، 2011م.
22. طقوش، محمد سهيل، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام(521– 630هـ/ 1127–1233م)، دار النفائس– بيروت – لينان، ط2، 2010م.
23. عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو– القاهرة، ط2، 1971م.
24. عطية، علي سعود، تاريخ الحروب الصليبية، الشركة العربية المتحدة– القاهرة، ط1، 2010م.
25. الغامدي، عبد الله بن سعيد محمد، الأمير سوار بن أيتكين ودوره في الجهاد ضد الصليبيين، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، مارس، 1998م.
26. فولفغانغ مولّر– فينر، القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة/ محمد وليد الجلاد، دار الفكر– دمشق، ط2، 1984م.